نظرات وفكر

[تحريراً في: ١٥/٢/٢٠١٥م]

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾

مقدمة

ينبغي عليك إصلاح نفسك أولاً، وتقوية الصلة بالله، كي تكون محلاً مناسباً لما تريده وترومه وتبتغي. فإن الله حكيم يعطي كل إنسان على قدر نيته، ما يصلحه وينفعه، وقد قيل: (إذا أردت فاطمة فكن علياً) وملاك الأمر هو الدعاء، وصلاح النفس مفتاح الإجابة، فإنك إن وفقت للدعاء، فلا تحمل هم الإجابة.

وكذلك سلوك السبيل الشرعي من الصدق والأمانة؛ لأن ميزان الشريعة هو الميزان الحق العادل المنصوص، فمن خالف الشرع حجة استعجال نيل، أو حصول غاية، أو نيل مقصود، انقلب عليه مقصوده، هذا مع قبح المخالفة، ولو سلِم فكيف بثمرة غرسها معصية!! وقد قيل: (من صفا صُفي له، ومن كدّر كُدّر عليه).

العقل نور الله يقذفه في قلب من يشاء، وهو مفتاح الحكمة، وقد قال الله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾
وقد قيل:

(وأعلم بأن كدر الذنوب * يكسف نور العلم في القلوب)
(واحذر على النور الذي وهبتا * فإن تضع نور الإله خبتا)
(ولا تطق البرء من أدوائكا * إلا بفطم النفس عن هواكا)

والنظر في عواقب الأمور من صفة الحكماء، وقالوا: (من لم ينظر في العواقب، فليس له الدهر بصاحب) وقال ابن الجوزي رحمه الله: (فالعاقل لا يدخل في شيء حتى يعرف الخروج منه؛ فإن الأشياء لا تثبت، والصحبة لا تدوم، والتغير مقرون بكل حال)
فينبغي النظر إلى عاقبة الأمر حالما انقلب الحال في مآلها — كيف تكون، بحيث الحيطة والحذر، لكمال المعالجة ودراية الأمر.

وآفة العقل تحكيم الهوى ، ولهذا ينبغي على العاقل ألا يخلب ملاك عقله شيطانُ هواه - وقد قال تعالى : ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك ﴾ فالهوى يزين القبيح ، ويفند الصحيح ، ويستدعي المثالب ، ويبرر المعايب ، وقد قيل : (وعين الرضا عن كل عيب كليلة)

الحلم من العقل وهو سبيل لنيل المطلوب ، وقالوا : من تأنى نال ما تمنى ، وقالوا :

(قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل)

والحلم والروية مما يحبها الله وفي الحديث : (فيك خصلتان يحبهما الله : الحلم والأناة) والحلم لا يأتي إلا بجد ، ولا يرشد الناظر إلا صبرٌ وثقةٌ ودرايةٌ وبصيرةٌ وهدى ، فادفع العجلة بالحلم وتكرار النظر والمراجعة والاستخبار .

• ﴿ لا تفتن نفسك ﴾

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) وقال : (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) وقال تعالى في يوسف عليه السلام : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ وقال : ﴿ أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ وقد يفتن المرء نفسه ويقوي عسكر عدوه بترديد الفكر والنظر ، وقيل :

(وكنت متى أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر)

(رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر)

• ﴿ جماع الأمر ﴾

الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأن النكاح : (تخيروا) ، وعليه فإن اختيار الزوجة من الشأن بموضع ، لما يترتب عليه من أثر بالغ على النفس والذرية والحياة ، ولذا يجب أن يدفع نوازع الهوى ، وينظر في الأمر بحكمة وعقل ، فلا يتجاوز المثالب بدعوى شهوة ، ولا يتعدى المعايب بعذر إصلاحها ، ويرقب آثارها مالو قلت عليه ، وأقبلت مآثرها إليه ، ويتوهم سوء العواقب ، ويستشرف ذلك بعين العقل

والتطرف في أمور الأخلاق والآداب والسجايا ، وذلك لعظم
أمره ، وفداحة خطره ، وجليل أثره .

• مايراد منها « ذات الدين » *

والمطلوب منها : أداء فرضها وبرا من الشرك والدلال واجتناب المحرمات
ووجود بناء الإيمان وتأثره ومواعظ في نفسها ، ورعاية بعلها
وأداء حقوقه عليها وما يلزمه من حسن المعاشرة بالمعروف
وحسن تربية أبنائها ، وإصلاح شأن بيتها من حسن الترتيب
والتنظيم والنظافة وجودة الصيانة .

• صورة تامة

مؤمنة تقية ، دينة نقية ، جميلة فتية ، وفية رضية ، وقورة
حيية ، فطنة ذكية ، رزينة حليمة ، عاقلة كريمة ، حسنة
هينة ، طيعة لينة ، عفيفة عطوفة ، لطيفة الوفية ، حامدة
شاكرة ، قانعة ذاكرة ، ودودا ولودا ، منظمة نظيفة ، عزيزة
شريفة ، طيبة القلب ، صادقة المشاعر ، لا تعرف الدهاء ولا المكر
حلوة المنطق ، عذبة اللسان ، خفيفة الظل ، سامية الروح ، لها
كبرياء وكرامة ، صادقة واضحة ، صغيرة واثقة ، نبيهة حاذقة
متفاهمة وواعية ، أنيقة المظهر ، مازحة ، لها أدب وحشمة .

• خلاصة المحل

12- وصفوة : صحة الموقف والمقام ، وجوازه في التصور والواقع ،
والمحل فيه من محاسن : الصغر والنمو وطيبة القلب وصدق المشاعر
وجمال الصورة والفتوة ، والأدب والحشمة والحياء والعفة ، و
التدين والشرف والعزة والكرم ، والنظافة والنظام والطاعة . و
فيأمن مثالب العناد والتسرع ، وترك الحجاب ، والجهل ، والإدمان
والأغاني ، والمسلسلات ، والثقافة ، وعدم التفاهم .

13- وكذلك جانب الأهل وما لهم من أثر في المخالطة والمعاملة والرجوع
في الخلاف وزنة ذلك على ميزاني : الجمال والواقع المقدور ، وفق
ما سبق من دلائل الحكم ونوازعه .

* تعقيب مهم

- وليعلم المؤمن أن كل محرم ضار فاسد، وإن خامرت العقل سكرة شهوته فالندم عقب قضاء الوطر لازم، وللمعصية أثر سيئ في الدنيا والآخرة.

- ومن غض بصره عن الحرام رعايةً وصيانةً لمحارم الله، وإجلالاً من معصيته عوضه الله خيراً منه، وأعقبه بهجة، والإيمان وحلاوته في الصدر، وإن تملك صاحبه فهو في نفسه يعلو وجهه.

- من علق نفسه بشيء تعذب به، من جهات: التشكك في حيازته وحصوله وخوف فواته، فإن ركب المعصية والمخالفة فيه، فإنه يرزق مركبه معصية، فإن حصله فهو عقاب الله العاجل، ولا استدراك، والأرزاق تجلب بالطاعات ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.

- من أغلق على نفسه باب التفكير، أغلق باب شر كبير، حتى وإن ضاقت عليه الأمور، فإنه يلتمس المخرج والفرج برضا الله عز وجل، على حالة أهل المروءات في الشدائد:

  (معدن التبر يبين * ما سواه حيث يبلى)

- ولا ينكر على المرء الميل إلى زينات الدنيا، فقد قال تعالى: ﴿زين للناس﴾ ولكن ﴿الآخرة هي الأبقى﴾ والميل مرفوض للسعي في طلبه حتى ينال إثماً أو يقترف جرماً.

- وليعلم أن كل ممنوع مرغوب، وكل مملول ممل، والنفس تتوق إلى ما ليس بيدها، فإن حصلته ذهبت لذته وتاقت لغيره، والعاقل من عقل نفسه وزمها بلجام من التقوى.

- وليعلم أن قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء، فمن عصى الله أورث القلوب بغضه، ومن أطاعه وتقرب إليه أحبه وأورث القلوب محبته ووضع له القبول.